



لا شك ولا ريب عند كل مطلع خبير في أن دولة روسية هي من ألد الدول عداوة للإسلام قديماً وحديثاً، نعم هذا ما تؤكده حقائق التاريخ، وهذا ما رسم في أذهاننا من اعتقاد منذ بدأنا نتابع أخبار العالم وأخبار الاتحاد السوفيتي ونحن فتيان صغار. روسية بلد معاد للإسلام عدو للمسلمين، له تاريخ أسود ملئ بالحقد والكراءة للمسلمين، اسودت صحائف أسفاره بأخبار الحروب المتالية على الدول الإسلامية، وقصص جرائم الإبادة للشعوب المسلمة وهي جرائم تعد من أبشع ما عرف التاريخ وأشنع ما شهدت الإنسانية.

وتبدأ قصة ابتداء الكراءة بيني وبين الروس إلى السنين الأولى من حياتي يوم كنت وأنا طفل صغير ألتقي بزوار والدي - رحمة الله تعالى - (وهو علامة عصره الشيخ إبراهيم اليعقوبي)، إذ كان يتردد عليه عدد من أهل بخارى وطشقند وما جاورها من الأصقاع وكانوا من الكبار المعمرین ممن بلغ التسعين والمائة، وبعض هؤلاء كان يقيم في المدرسة السليمانية وهي في زقاق في آخر أسواق الحريرة بدمشق، خلف خان الجمرك وتعرف بمدرسة الأفغان، وكانت للوالد فيها غرفة يضع فيها قسماً من مكتبه ويأوي إليها أحياناً طلباً للخلوة والسكينة. كانت عيناي لا تملان من النظر إلى هؤلاء المعمرين بإعجاب وإكبار وأنا أرى الواحد منهم ممتعًا بحواسه شديداً في دينه، وقد كاد يصير هيكل عظام وهو في نحو المائة ما يزال يصر على النهوض إلى الصلاة ويتوضأ بالماء البارد.

كان بعض هؤلاء يتردد على مجالس والدي - رحمة الله -، فكنت أستمع إلى أطراف الأحاديث التي تجري بينه وبين هؤلاء حول الإسلام في بلاد بخارى وما ارتكبه دولـة الاتحاد السوفيـطي الشـيـوعـيـة من جـرـائم لا تـكـاد تـصـدقـ من إـعدـامـ لـلـعـلـمـاءـ وـحرـقـ المـكـتبـاتـ وهـدـمـ لـلـمـسـاجـدـ وـقـتـلـ لـلـمـلـاـيـنـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ. وـعـرـفـ آـنـذـ وـأـنـاـ طـلـبـ فيـ نـحـوـ السـابـعـةـ أـنـ هـؤـلـاءـ إـنـمـاـ هـاجـرـواـ فـرـارـاـ بـدـيـنـهـ مـنـ بـطـشـ الشـيـوعـيـنـ الـرـوـسـ بـعـدـ الثـورـةـ الـبـلـشـفـيـةـ، وـسـمـعـنـاـ فـيـمـاـ سـمـعـنـاـ عـنـ الـمـلـاـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ الـذـيـنـ قـتـلـوـاـ أـوـ مـاتـوـاـ فـيـ الصـقـيعـ أـوـ فـيـ الـمـعـقـلـاتـ.

وقد ترافق هذا مع ما كان يحكىه والدي لنا عن أخبار أهل بيتنا آل اليعقوبي: فكان يحدثني وأنا صغير أرافقه حين يأوي إلى تلك الغرفة الضيقة في السليمانية أو إلى جامع الدرويشية عن أخبار جدي السيد إسماعيل اليعقوبي وإخوته وجدي السيدة عائشة اليعقوبي وإخواتها، ومنهم الشهيد السيد حسن بن عمر اليعقوبي الذي قتله الروس وهو حال والدي وأبن عم جدي

وكان قد تخرج من المدرسة الرُّشدية واشتغل بالتدريس ثم ذهب إلى الجهاد في سبيل الله - تعالى - مع العثمانيين ومات شهيداً في الحرب بين العثمانيين والروس سنة ١٨٧٧ مـ ١٨٧٨، وهي حرب القرم الثانية وقد انتصر فيها الروس. تُرى... أليس ذلك سبباً كافياً لي لأكره الروس منذ ريعان الطفولة!

وبدأنا دراسة العقيدة الإسلامية في وقت مبكر فعرفنا مذاهب الملاحدة في إنكار وجود الله - تعالى - والمذهب الشيوعي وما بني عليه، فازدادنا كراهية للاتحاد السوفيتي. وما كانت دروس الوالد - رحمة الله - تكاد تخلو من تطبيق العلوم الشرعية على أحداث الوقت، فلقد كان - رحمة الله تعالى - فقيهاً محققاً عالماً بأحوال زمانه مطلعاً على أحدث ما يكتب في المجالات أو يصدر من المؤلفات، صوفياً على منهج السلف الصالح، وكان كثيراً ما يردد القول المشهور في تعريف الصوفي: "الصوفي ابن وقته".

تلك هي الصورة التي تكونت في أذهاننا عن روسية وما كان يسمى الاتحاد السوفيتي آنذاك، وازدادت الصورة وضوحاً بما قرأناه ونحن شبان صغار من روايات وأخبار عن المسلمين في جزائر جاوية - عذراء جاكرتا - وبلاد البلقان؛ كألبانيا، والتاريخ الأسود لأنور خوجا ويوغوسلافيا، واكتملت الصورة بقراءتنا ونحن كبار لتاريخ الأمير الجليل والعالم الكبير الشيخ شامل في بلاد القوقاز وما فعل الروس في تلك البلاد من القتل وسفك الدماء والتعذيب وال الحرب على الإسلام، وهي حرب استمرت في عهد الروس الجدد ولم يكن الأمير جوهر دودايف - رحمة الله - آخر ضحاياها. زد على هذا ما جرى للMuslimين في بلاد البوشناق (البوسنة) من إبادة على أيدي الصرب حلفاء الروس بدعم مطلق وغطاء تام من الروس.

تلك هي نماذج من حرب الروس على الإسلام وذلك هو قليل من كثير من قصص محاولات الروس لإبادة المسلمين، سيان الأمر لما كان القياصرة يحكمون روسية من أيام القيصر نيقولا الأول أو كان المجرمون (الرفاق) الشيوعيون يتربعون على سدة الحكم في أيام ستالين.

إن روسية كانت وما تزال ترى أنها هي وريثة الدولة البيزنطية وهي حامية الديانة المسيحية الأورثوذكسية التي انحسرت بعد سقوط القدسية على أيدي السلطان محمد الفاتح - رحمة الله -، بل كانت روسية تسعى جاهدة إلى استعادة القدسية، بل إن الذي أشعل فتيل حرب القرم الأولى بين العثمانيين والروس كان محاولة الروس الحصول على الامتيازات للسيطرة على البقاع (المقدسة) للمسيحيين في فلسطين.

وروسية دولة تعترف بإسرائيل وتشجع هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل، وفي إسرائيل نحو مليون من اليهود الروس، بل إن الذي يحكم روسية فعلاً هو اللوبي اليهودي، وكان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قد قام بزيارة لإسرائيل سنة ٢٠٠٥ م لتوطيد العلاقات. وقد كشفت وثيقة ويكيликز رقم: 08MOSCOW1991 تاريخ: 11/2008 م مدى التعاون الكبير بين روسية وإسرائيل واستخدام إسرائيل لروسية حتى تسيطر على الشرق الأوسط.

إن الذي يظن أن روسية تدعم العرب لتحرير فلسطين واهم أشد الوهم، وخمسون عاماً من الصداقات والأحلاف والمعاهدات التي لم تُعد للعرب شيئاً واحداً من أرض فلسطين خير دليل على ذلك. وكذلك من ظن أن الاتحاد السوفيتي كان نصيراً حقيقياً للعرب في قضيائهم، وإنما هي تجارة السلاح والسيطرة على مناطق النفوذ وامتصاص غضب الشعوب، وتقاسم الأدوار. ولذلك كان لا يبيع سوريا شيئاً من الأسلحة المتطورة حفاظاً على التفوق الإستراتيجي لإسرائيل، والتوازن مع الدول الغربية.

لقد احتل الإفرنج (الإفريقيون) النصارى المستعمرون بلادنا نحو ثلاثين سنة، ولكنهم لم يستطعوا أن يغيروا خلالها من تمسك الناس بالإسلام ولم يتمكنوا في أثنائها من فرض العلمانية ولا من محاربة الدين. دخل الإفريقيون وخرجوا وسورية دولة إسلامية، ولكن حزب البعث بالتحالف مع الاتحاد السوفيتي حق لأعداء الإسلام من إضعاف الدين وفرض مبادئ الإلحاد والعلمانية ما لم يستطع الاحتلال أن يتحقق. وهما يقاد يسقط بعد خمسين سنة بعد أن عمل على تحويل سوريا إلى

دولة علمانية، بدءاً من الاختلاط في المدارس الذي لم يتمكن المحتل من فرضه، وانتهاء بالأفلام المسيئة للدين مما لم يجرؤ المستعمر على عرضه: إنه بلاء الاشتراكية والشيوعية ومبادئ الكفر والإلحاد والإباحية التي جاءتنا من روسية وممن درس في روسية مع السلاح الذي لم يكدر يستعمل لتحرير أرض ولا لنصرة شعب حتى آل الأمر إلى أن صار يذبح به الشعب. وربما لن ينسى شعبنا أنه إنما يذبح الآن في ثورته ويقتل بسلاح روسي فالبندقية التي يحملها جنود النظام روسية حتى باتت هكذا تسمى بعد أن زال الاسم وبقي الوصف، والمدفعية روسية، والدبابات روسية، ولا تزال روسية تمعن في الدفاع عن جرائم النظام والتغطية عليه.

نعم لكل هذه الأسباب وللمزيد مما سواها أنا أكره روسية كراهية شديدة، وأتوجه بالسؤال لكل من يتصدق اليوم بتحريم الاستعانة بالأجنبى: ما حكم الاستعانة بالكافر الروس لضرب المسلمين في بلاد الشام؟ ما حكم موالة هؤلاء الأعداء الذين يحدون الله ورسوله؛ وأين إلى جانب هذا أني لا أرى قطعاً جواز الاستعانة بأمريكا أو بالناتو لتحرير سوريا من هؤلاء الطغاة، مهما كانت الظروف، ولكنني أتساءل ما الذي يدعوه إلى اعتبار الروس حلفاء وورثة للتعاون الإسلامي وهم من ألد أعداء الإسلام، هل بلغت بنا الحال في دعم النظام والتغطية على جرائم هذه العصابة التي تحكم في سوريا اليوم إلى نسيان التاريخ وتغيير الحقائق وتحريف الأحكام!

وصدق الله - تعالى - إذ يقول:{إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

المصادر: